تجلّيات الدهر العربي

د. مسعود بوبو

ليس للدهر صورة واحدة في الذهن العربي، ولا تسعف المعاجم العربية بما يؤمِّله المنقِّب فيها ملتمساً معنى الدهر، وإنما تُماطل إذ تقدِّم دلالته في احتمالات ووجوه مختلفة تدخله في المتخيَّل، وفي المعقول واللامعقول، وتسلكه في المؤتلف والمختلف والمتداخل والمشترك اللفظي من كلام العرب.. تبديه شيئاً لا يُدْرَك ولا يمسك به، ولا يتشكل فتحدّه الأبعاد والأقيسة... أجل، إن النصوص القديمة والحديثة تمكّنك من تخيّله، ولكن وفق هوى مبدعيها، أو وفق عُقَدهم، أو موروثاتهم..

وقد يكون من الممتع والمفيد أن يتتبّع المرء «تجليات» هذا الدهر، أو يترصّده وهو يغيّر زيّه من نصٍّ إلى آخر، أو من مرأى إلى آخر، على نحو لا تجد له نظيراً عند غير العرب. ونتوقّى ادّعاء الإحاطة بشعاب هذا الموضوع، فذلك أمر غير مقدور عليه، وإنما بني هذا البحث على استقراء ناقص اقتصر على ما توافر بين أيدينا من المصادر والنصوص.

الدهر لغة:

الدهر في اللغة العربية مفهوم زمني ذو بعدين، أو وجهين، الأول: يعني مدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، أو هو مدة بقاء الدنيا إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انقضائها، وعند بعضهم هو الأمد الممدود من الأزلية إلى الأبدية. أو هو مضيّ الليل والنهار[١]، من غير تحديد بتوقيت أو دورة أو عدد مّا من السنين أو القرون، أي بغير صفة دقيقة مقنّنة، مع أنه لا حيلة لنا في تعريفه سوى الاعتماد على الوصف، أو التجربة والشعور الشخصيين.

أما البعد الثاني أو الوجه الثاني فيعني «الزمان» قلَّ أو كَثُر؛ أي إن الدهر بدا لهم زماناً طويلاً حدّدوه بقرن أو بألف سنة، فكان محدوداً لا مطلقاً.

وأحياناً رأوه رديف الزمان، فقد جاء في «تهذيب اللغة» للأزهري، وفي «لسان العرب» لابن منظور: «قال شمر: الزمان والدهر واحد»[٢]، وألمح بعض اللغويين إلى أن مجيء الدهر بمعنى الزمان في بعض كلام العرب يكون على الاتساع الذي يقصد به «بعض الدهر». قال الأزهري: «الدهر عند العرب يقع على بعض الدهر الأطول، ويقع على مدة الدنيا كلها»[٢].

ويؤيد هذا ما جاء في «اللسان» تعقيباً على قول شمر «إن الزمان والدهر واحد»، من قول خالد بن يزيد: «أخطأ شمر، الزمان زمان الرُّطب والفاكهة وزمان الحر والبرد. قال: ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، قال: والدهر لا ينقطع»[٣].

وجاء في اللسان: «وقد سمعت غير واحد من العرب يقول: أقمنا على ماء كذا وكذا دهراً، ودارنا التي حللنا بها دهراً، وإذا كان هذا هكذا جاز أن يقال الزمان والدهر واحد في معنى دون معنى»[٤].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يضاف إلى هذا قول أبي منصور الأزهري: «الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة، وعلى جميع الدهر وبعضه»(٤). ولعله من هنا سمي الحَرْس والسَّبْت، وهما تسميتان تتجهان إلى الدلالة على وقت من الدهر أو برهة منه(٤). وفي اللسان أيضاً:

«والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه وعلى الحين»(٤). والحين (في اللسان): الدهر. وقيل: وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الأزمان كلها، طالت أو قصرت(٤). كأن الأزهري وابن منظور أرادا أن يقولا: إننا في الاستعمال لا نقول كان ذلك في دهر فلان، أو على دهر فلان، أو حين فلان، إنما نقول: كان ذلك في زمن فلان، وزَمَن فلان، وعلى زمنه، أو في حياته. «وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لعجوز تحفَّى (احتفل) بها في السؤال وقال: كانت تأتينا أزمان خديجة؛ أراد حياتها»(٤).

وهكذا يبدو أن ما يجمع بين الدهر والزمن كلمة «العمر» أو «معظمه» على ما يستخلص من النصوص ومن الاستعمال الذي هو في العُرْف أدْوَرُ على الألسنة وأشيع بين الناس، وقد يظهر هذا أكثر وضوحاً في إطار الحديث الفردي، كما في قول أبي عبيد الله وزير المهدي(٥):

للـه دهـر أضعنـا فيـه أنفسـنا ... بالجهل لو أنه بعد النُّهي عادا

أفسدت ديني بإصلاحي خلافتكم ... وكان إصلاحها في الدين إفسادا

وقال المزرّد(٦):

ما أنا الدهر بناس ذكرها ... ما غدت ورقاء تدعو ساق حُرْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقول شاعر آخر[٧]:

لا تطلبِ الحُسْنَ إن الحسن آفتهُ أن لا يزال طوال الدهر مطلوبا

ويقول الأخنس بن شهاب[٨]:

وقد عشتُ دهراً والغواة صحابتي أولئك خلصائي الذين أصاحبُ

ومن مثل ذلك قول أمية بن أبي الصلت[٩]:

كلُّ عيش وإن تطاول دهراً صائرٌ مرَّةً إلى أن يزولا

وقول جميل بن معمر[١٠]:

إذا جئتها يوماً من الدهر زائراً تعرّض منفوض اليدين صدود

(منفوض اليدين: مرتجفهما)، وقيل: (منقوص اليدين، أي بخيل بالمعروف، يعني زوجها).

وأفنيت عمري بانتظاري وعدها وأبليت فيها الدهر وهو جديد

وقول بشار بن برد[١١]:

قد زُرْتنا مرة في الدهر واحدة ثنِّي ولا تجعليها بيضة الديكِ

وقول جميل بن معمر[١٢]:

فما سرتُ من ميْلٍ ولا سرتُ ليلةً من الدهر إلا اعتادني منك طائف

وقالت ترفّق في مقالة ناصح عسى الدهر يوماً بعد نأي يساعف

وقوله[١٣]:

وما ذكرتكِ النفس يابثنَ مرة من الدهر إلا كادت النفس تَتْلَف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكتب أبو العيناء إلى أبي الوليد بن أبـي داود: مسّنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا المودة والشكر، فإن تُعْطِ أكن كما قال الشاعر(١٤):

أنا الشهاب الذي يحمي ذماركمُ لا يخمد الدهرَ إلا ضوؤه يَقِدُ

وقال ابن ميادة في الحنين إلى الوطن(١٥):

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بحرّة ليلى حيث ربّتني أهلي

وهل أسمعنَّ الدهر أصوات هجمةٍ تطالع من هجل بعيد إلى هجل

(الهجمة: القطعة من الإبل. والهَجْل: المطمئنّ من الأرض).

وقال شاعر:

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتّقي

وجاء في «محاضرات» الراغب الأصفهاني: «وعاش دريد بن الصمة دهراً طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه»(١٦).

وقال عمرو بن معدٍ يكرب:

تراها الدهر مُقْتِرةً كِباءً وتقدح صفحة فيها نقيع

(مقترةً: من القُتار، وهو ريح البَخُور، واقترت: تبخّرت. والكِبَاء: العود، تقدح: تغرف ما في القدر أو الصحفة. والنقيع: ما ينقع من الماء)(١٧).

ومن مثل ذلك قول ابن الرومي(١٨):

ولي وطن آليت ألاّ أبيعه وألاّ أرى غيري له الدهر مالكا

وقول المتنبي(١٩):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكل امرئ من دهره ما تعوّدا وعادةُ سيف الدولة الطعن في العد

وبقليل من التأمل في هذه الشواهد نجد أن الشعراء توسلوا بلفظة الدهر للتعبير عما عرض لهم أو ألم بهم. أو لخصوا في بعضها تجاربهم في حيواتهم وأعمارهم، حتى لو أن أحداً وضع مكان الدهر كلمة «العمر» لما وجد كبير اختلاف في فهم المراد وإدراك المقصد. وبموازنة الدهر (بمفهومه الزمني الصرف) بالعمر يتبدى لنا الزمان أمداً له أول وآخر. والدهر زمان لا أول له ولا آخر على هذه الصورة. وأما صورته التي حملوها لفظتي الأول والآخر فهي على المجاز والخيال، لا على الحقيقة اللغوية الوضعية التي قيدتها المعجمات، أو نصت عليها صراحة. وربما ارتضيت هذه الصورة ذات البدء والنهاية إذا خلعت على العمر وبدت من لوازمه، كقول جميل بن معمر العذري(٢٠):

مضى لي زمان لو أخير بينه وبين حياتي خالدا آخر الدهر

لقلت: ذروني ساعة وبثينة على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري

فجميل تصور للدهر «آخراً»، وغيره تصور له «سالفاً» كما في قول مالك الهمداني(٢١):

أهيم بها ما لم أقض منها لبانة وكنت بها في سالف الدهر موزعا

أي كان بها مولعاً. وكما في قول المرقش الأصغر(٢٢):

أضحت قفارا وقد كان بها في سالف الدهر أرباب الهجوم

(والهجوم: قطع الإبل. يعني كان مغرى بها).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقول جميل بن معمر(٢٣):

فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا ولم تنس ما أسلفت في سالف الدهر

وممن ذكر عبارة «آخر الدهر» في شعرهم دريد بن الصمة، قال(٢٤):

فأما ترينا لا تزال دماؤنا لدى واتر يسعى بها آخر الدهر

وقال كثير عزة(٢٥):

وإن كان لاسعدى أطالت سكونه ولا أهل سعدى آخر الدهر نازلُهْ

وقول العباس بن الأحنف(٢٦):

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تُقْبِلُ

ومن المنتظر، بعد هذا، أن يكون للدهر أوّل أو ابتداء، وفي ذلك يقول الفرزدق:

تعالوا، فعدّوا تعلم الناس أينا لصاحبه في أول الدهر تابعُ

ويقول حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري وقد حضرته الوفاة(٢٧):

والدهر آخره شبه لأوّله قومٌ كقوم وأيام لأيامِ

ويجمل أحدهم طرفي الدهر ومداه في كرّ الأيام والليالي وحركة الكون، يقول(٢٨):

ألم تر أن الدهر يوم وليلة يكرّان من سبْتٍ عليك إلى سَبْتِ

فقل لجديد الدهر لابدّ من بلى وقل لاجتماع الشمل لابد من شتِ

وإذا أردنا أن نصطلح على معنى الدهر، بعد هذا، يمكن أن نقول إن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدهر «تتابعيّ» يتأبّى على التقييد بنقطة بدء أو انتهاء. ويفرقون هنا بين مدلولي الدهر والزمن في اللغة الإنكليزية بتسمية الدهر، أو الأبدية Eternity، وبتسمية الزمن Time. وقد ذكر «التتابع» في تصورهم للدهر بألفاظ أخرى مشابهة من مثل «مرور» و«تعاقب» و«مضي».. قال ابن جني من ذلك[٢٩]: «اعلم أن الزمان مرور الليل والنهار، نحو اليوم، والليلة، والساعة، والشهر، والسنة. قال الشاعرالهذلي:

هل الدهر إلا ليلة ونهارها وإلا طلوع الشمس ثم غيارُها؟

(غيارها: غورها).

ومن مثل ذلك قول سَلْم الخاسر[٣٠]:

حزن كطول الدهر باق إذا مضتْ أوائلُه عادت إلينا الأواخر

وقول آخر[٣١]:

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي بما كان فيها من بلاء ومن خفضِ

وقال سيبويه[٣٢]:

«والأماكن لها جثة، وإنما الدهر مضي الليل والنهار، فهو إلى الفعل أقرب» وقيل لأحد المعمرين: صف الدنيا وأوجز. قال[٣٣]: سنيّات رخاء وسنيّات بلاء، يولد مولود ويهلك هالك، ولولا المولود لباد الخلق، ولولا الهالك لضاقت الأرض ثم أنشد:

وما الدهر إلا صدر يوم وليلة ويولدُ مولود ويُفْقدُ فاقد

وساع لرزق ليس يدرك قوته ومهدٍ إليه رزقه وهو قاعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال حارثة بن بدر التميمي[٣٤]:

وما الدهر إلا مثل أمس الذي مضى ومثل الغد الجائي وكلٌّ سيذهب

وإذا كان للدهر أول وآخر وتعاقب في دورة الأفلاك ومضيّ وعودة، فلا يبعد أن يكون له مقدرة، وأن يكون «إلى الفعل أقرب»، ولعل اللغويين العرب، بناء على هذا التصور، وجدوا أن من معاني الدهر في اللغة أيضاً:

– الغَلَبَة، والقهر، والنازلة والمنون.. وقد أصّل هذا المعنى ابن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ) في معجمه «مقاييس اللغة» فقال: «الدال والهاء والراء واحد (أي: أصل واحد) وهو الغلبة والقهر، وسمّي الدهر دهراً لأنه يأتي على كل شيء ويغلبه»[٣٥].

وهنا يمكن القول إن الدهر تجلّى للعربي «محيطاً» أو دهراً دائرياً Cyclic في مقابل صورته التتابعية، أو نموذجه الخطي Linear[٣٦]. وبدا وكأنه يحيط بالإنسان بعد أن كان يجري أمامه أو من خلفه ويتركه مستكيناً حبيس ذاته إلى أن يفنى هو، ويظل الدهر يجري بغير فناء.. أو بدا «كالليل الذي هو مدركي» على حد تعبير النابغة الذبياني، يطوّق الإنسان ويسد عليه المنافذ والمفارق والمخارج، يحاصره ثم يقيده كالأخيذ الأسير لا حول له ولا قوة.

وهذا المفهوم للدهر أو الأصل الحسي لجملة المعاني التي تجلّى بها في المعجمات، هو الطاغي في النصوص الشعرية والنثرية في التراث العربي. ومما يعزز هذا التصور إضفاء تسميات متشابهة على الدهر هي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أقرب إلى وصفه والتعريف به من كونها مرادفات لمعناه. فقد قالوا من ذلك:

«الدهر: النازلة تنزل بالقوم. تقول: دَهَرَهم أمر، أي نزلت بهم نازلة»[٣٧]. «والنازلة: الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، نسأل الله العافية»[٣٧].

ومما يشبه القصر في البلاغة تحديد ماهية الدهر بالمصيبة أو النازلة، كما في قول زياد بن زيد[٣٨]:

وما الدهر والأيام إلا كما تَرَى ... رزيَّةُ مال أو فراق حبيبِ

ومن أقوالهم التي صورت الدهر كالنازلة[٣٩]:

لِنْ إذا ما نِلْتَ عزّا ... فأخو العز يلين

فإذا نابك دهرٌ ... فكما كنت تكون

أي تظل في عز يوفّره لك من لنت لهم.

ومن معاني الغلبة التي قرنت مع أصل معنى الدهر قول صاحب اللسان[٤٠]: «وفي حديث أبي طالب: لولا أن قريشاً تقول: دَهَرَه الجزع لفعلتُ يقال: دهر فلاناً أمر إذا أصابه مكروه ودَهَرَهُم أمر نزل بهم مكروه، ودَهَرَ بهم أمر: نزل بهم».

ومن الدهر أُخذ معنى التقحّم والدفع والصلابة. قال في اللسان: «ودَهْوَرَ كلامه: قحّم بعضه في إثر بعض. ودَهْوَرَ الحائط» دفعه فسقط.. والدَّهْوَري من الرجال: الصلب الضرب»[٤٠].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

– ومن أسماء الدهر: الأزْلَمُ والجَذَع لجدَّته، أو لأنه لا يفنى. وهذه التسمية لا تخلو من البطش والإهلاك، وعلى ذلك قول الأخطل:

يا بشْرُ لو لم أكن منكم بمنزلة ألقى عليَّ يديه الأزْلَمُ الجَذَعُ

أي لولاكم لأهلكني الدهر[٤١]. وقول لقيط بن يعمر الإيادي[٤٢]:

يا قوم بيضَتَكُم لا تفضَحُنَّ بها إني أخاف عليها الأزلم الجذعا

يقول: احفظوا عقر داركم. والأزلم الجَذَع: الدهر لأنه لا يهرم أبداً.

– ومن أسمائه: المَنُوْن، أي الموت، لأنه يَمُنَّ كل شيء، يضعفه وينقصه ويقطعه، وقيل: المَنُوْن: الدهر... وفي «التهذيب»: «من ذكر المنون أراد به الدهر»[٤٣]. وأضاف صاحب اللسان: «قال ابن بَرِّي: المَنُوْن: الدهر، وهو اسم مفرد، وعليه قوله تعالى: ﴿نَتَرَبَّصُ بِه رَيْبَ المَنُوْن﴾ [٤٤]، أي حوادث الدهر، ومنه قول أبي ذؤيب:

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِهِ تَتَوجَّع

قال: أي الدهر وريبه، ويدل على صحة ذلك قوله:

والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَع

فأما من قال: وريبها، فإنه أنّث على معنى الدهور[٤٤]. ومثله ما أنشده عبد الرحمن عن عمه الأصمعي:

غلامُ وغًى تقحمها فأبلى فخان بلاءه الدهر الخؤونُ

فإنّ على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جَنَتِ المنون

قال: المَنُون يريد بها الدهور بدليل ما قيل في البيت السابق[٤٤].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

- ومن أسماء الدهر: أبو زيد، وأبو البشر، وأبو سعد، وأبو العجب، لإتيانه بما لم تجر عادة بمشاهدته. وجاء في اللسان من ذلك: «وجمع العَجَب: أعجاب، قال[٤٥]:

يا عجباً للدهر ذي الأعجاب الأحْدَبِ البُرْغُوث ذي الأنياب

استعار له الأنياب ليبقي دلالة البطش والافتراس ملازمة له.

وقال أبو النشناش النهشلي الصعلوك[٤٦]:

وداويةٍ يهماءَ يُخْشَى بها الردى سرتْ بأبي النشناش فيها ركائبه

ليدركَ ثاراً أو ليدرك مغنماً جزيلاً، وهذا الدهر جمٌّ عجائبه

وهذا المفهوم العام الذي يصف الدهر بالقوة والغلبة والبطش هو الذي سنتسع في عرضه قليلاً، بعد أن نشير إلى أن للدهر معاني أخرى نسبت إليه على المجاز و«الانزياح» كما يعبر بعض النقاد المحدثين. من هذه المعاني التي نقف عليها في المعاجم: الغاية والهمّ والعادة.. كقول العرب «وما دهري بكذا، أي ما همّي وغايتي قال: وفي حديث أم سليم: ما ذاك دَهْرُكِ. يقال: ما ذاك دهري، وما دهري بكذا أي: همي وإرادتي. قال متمم بن نويرة[٤٧]:

لعمري! وما دهري بتأبين هالك ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا

وماذاك بدهري أي عادتي» [٤٠]:

ومنه قول سوّار بن المضرِّب:

أحب عُمان من حبي سليمى وما طِبّي بحب قرى عُمان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أي لا عادتي ولا اهتمامي أو شأني.

ووجه المجاز هنا أنهم أخذوا ما في مدلول الدهر من الاستمرار والديمومة والديدن فاستعاروا هذه المعاني لمسلكهم في الحياة ودأبهم وعاداتهم. وللعرب من مثل ذلك أقوال مشابهة، فقد قالوا مثلاً. وعهدي به قريب، وعهدي بفلان وهو شاب.. قال أبو خراش الهذلي:

«فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

أي ليس الأمر كما عهدت، ولكن جاء الإسلام فهدم ذلك، وأراد بالسلاسل الإسلام، وأنه أحاط برقابنا فلا نستطيع أن نعمل شيئاً مكروهاً»[٤٨]. ومن ذلك قولنا: هذا غير معهود، أو غير مألوف، وما هذا من طبع فلان، أي من سجيته ونحيزته.

– ومن معاني الدهر وأسمائه: المسند. جاء في اللسان: «والمسند: الدهر. ابن الأعرابي: يقال: لا آتيه يد الدهر ويد المسند، أي: لا آتيه أبداً»[٤٩]. ومن أسمائه: لبد. قال وهب بن منبه لمعاوية: اللبد في لغة العرب: الدهر[٤٩]. وفي المثل: طال الأبد على لبد.

– ومن معانيه: عوض، قال ابن جني: «العوض من لفظ (عوض) وهو الدهر.. والتقاؤهما أن الدهر إنما هو مرور الليل والنهار وتصرم أجزائهما، فكلما مضى جزء منه خلفه جزء آخر يكون عوضاً منه..» [٥٠].

وهذه التسمية تبدو كاللقب الذي يرتبط منشؤه بطبيعة العمل، ودلالته على التعاقب أو التناوب، على ما يفيد أصل الوضع في الجذر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغوي «عوض».

- بقي أن نقف على مفهوم الدهر من وجهة نظر المسلمين، أو نتتبع هذا المفهوم برؤية إسلامية. وأول ما يذكر في هذا الصدد الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوْا ما هي إلاَّ حَيَاتُنا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيا ومَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ، ومَا لَهُمْ بِذَلِكَ منْ عِلْمٍ إنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّوْن﴾ (٥١).

قال القرطبي(٥٢): «هذا إنكار منهم للآخرة وتكذيب للبعث وإبطال للجزاء.. وفي قوله تعالى: ﴿وما يُهْلِكنا إلاَّ الدَّهْرُ﴾ قال مجاهد: يعني السنين والأيام. وقال قتادة: إلا العمر، والمعنى واحد.. وقال ابن عيينة: كان أهل الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا، فنزلت هذه الآية..

وقال عكرمة: أي وما يهلكنا إلاّ الله. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: (كان أهل الجاهلية يقولون: ما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر). قال تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلّب الليل والنهار».. وفي الموطّأ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر. وقد استدل بهذا الحديث من قال: «إن الدهر من أسماء الله».

وقال الفخر الرازي(٥٣):

«يريدون أن الموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك، ولا حاجة إلى إثبات الخالق المختار، فهذه طائفة جمعوا بين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إنكار الإله وإنكار البعث والقيامة، وليس لهم مستند من عقل أو نقل، ولذلك أنكروا وجود الله من غير حجة ولا بينة، وما هم إلا قوم يتوهمون ويتخيلون، يتكلمون بالظن من غير يقين. وهذا قول الدهرية من الكفّار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد والقيامة».

اختلف القوم إذن في معنى الدهر، وانقسموا قسمين على طرفي نقيض، مثلما هم منقسمون في المعتقد: هؤلاء مسلمون، وأولئك مشركون من «الدَّهْرية والكفار»، وجاء الرد والإيضاح في قول النبي ﷺ: «لا تسبّوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر»، وفي قوله ﷺ: «يقول تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلّب ليله ونهاره»(٥٤).

ويصنّف عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) هذه الفكرة في جملة المجاز فيقول معلقاً على بيت ذي الإصبع العدواني(٥٥):

أهلكنا الدهر والنهار معاً والدهر يعدو مصمّماً جَذَعا

فيقول: «كان طريق الحكم عليه بالمجاز أن تعلم اعتقادهم التوحيد، إما بمعرفة أحوالهم السابقة، أو بأن تجد في كلامهم من بَعْدِ إطلاق هذا النحو ما يكشف عن قصد المجاز فيه». وهو يقصد إن ثبت اعتقاد المخاطبين بالدين الإسلامي فإن نسبة هذه الأفعال إلى الدهر على سبيل المجاز.

وجاء في اللسان: «قال أبو عبيد: قوله فإن الله هو الدهر مما لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه، وذلك أن المُعَطِّلة يحتجون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

به على المسلمين. قال: ورأيت بعض من يتّهم بالزندقة والدَّهْرية يحتج بهذا الحديث ويقول: ألا تراه يقول فإن الله هو الدهر؟ قال: فقلت وهل كان أحد يسب الله في آباد الدهر؟ وقد قال الأعشى في الجاهلية:

استأثر الله بالوفاء وبالْـ ـحَمْد وولّى الملامة الرجلا

قال: وتأويله عندي أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبّه عند الحوادث والنوازل تنزل بهم من موت أو هرم فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر وحوادثه، وأبادهم الدهر، فيجعلون الدهر الذي يفعل ذلك فيذمونه»(٥٦).

ويتضح من مجمل هذه الأقوال أن صورة الدهر تغيّرت عما كانت عليه قبل الإسلام، وكأن تطور الحياة الاجتماعية والعقلية للعرب اعْتَوَر المفهوم القديم للدهر ورأى تغييره تمشياً مع القيم الإسلامية مثلما كان الأمر في تغيير كثير من المفهومات والمعتقدات الخرافية و«الميثولوجيّة» المغلوطة، أو التي كانت مزيجاً من الوهم والجهل والاعتقاد. وإن ذلك التوضيح التربوي والأخلاقي من الرسول الكريم في حديثيه الشريفين كان توجيهاً نحو الفهم وحفزاً على التأمل في مدلول «الدهر» وما ينسب إليه مجازاً أو توهّماً بغير وجه حق أو دليل يرتضى.

وعلى هذه الصورة تقوّى أو ترسخ مفهوم الدهر عند المسلمين وانشعب الموقف منه عند عامة الناس «بين ثلاث شعاب: شعبة تراه مخلوقاً كغيره من المخلوقات لا حول له ولا قوة إلا بسبب من الله. وشعبة ثانية تشاطر عرب الجاهلية آراءهم وتنسب إلى الدهر الفاعلية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والخلق دون الله، ولكنها تزيد عليهم في أنها خرجت بالأمر من إطار الوعي الساذج إلى محاولة البرهنة والاستدلال. وشعبة أخيرة تظنه اسماً من أسماء الله الحسنى.. ويبدو من هذا التقسيم أن القضية التي اختلف فيها إنما هي الفاعلية؛ فمن سلبه إياها رآه مخلوقاً، ومن ألصقها به جعله إلهاً»(٥٧).

وكان من مظاهر التأثر بالرؤية الإسلامية للدهر ما عبّر عنه بعضهم في معرض ذكرهم له واستشرافهم أو استبطانهم لما وراءه من قوة تخضعه لمشيئتها، فقد روي أن سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيراً ما يذكر الدهر، فزجره أبوه وقال: إياك يا بني وذكر الدهر! وأنشد(٥٨):

فما الدهر بالجاني لشيء لحَيْنه ولا جالبَ البلوى فلا تشتم الدهرا
ولكن متى ما يبعث الله باعثاً على مَعْشرٍ يجعل مياسِرَهم عُسرا

وقال أبو علي الثقفي(٥٨):

يا عاتبَ الدهر إذا نابه لا تلُمِ الدهر على غدره
الدهر مأمور، له آمرٌ وينتهي الدهر إلى أمره

وملخص هذا التصور الإسلامي الدعوة إلى محايدة الدهر كفّاً عن خصومته إذ ليس في مقدوره إحداث النوائب، ولا من صفاته الوفاء أو الغدر، فإن شئتم قبول شيء من مثل هذا فاعلموا أنه يجري بأمر الله، لا بقرار الدهر.

تلك هي معاني الدهر في اللغة العربية. وإذا كان تصوّر العرب له، مادياً أو ذهنياً، قد اتسع بالمعنى اللغوي ليبدو وصفاً لذلك الشيء المجسَّم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أو المتخيَّل، فإن هذا التصوّر لم يُبنَ بمعزل عن اللغة، أو بقطيعة صارمة تباعد بينه وبين الأصل، إنما أبقى رابطاً خفياً يربط الدهر الموصوف وأوصافه المستجدة بأصل الوضع اللغوي، إذ ما من مفهوم يتنامى ويتبدل وتطرأ عليه الطوارئ اجتماعياً من غير مصاحبة اللغة له وإعادة النظر والتعديل في «ماهيته» وتجلياته، تفعل ذلك بظلالها وبألفاظها التي تعيد إنباته في مرونة وطواعية. وهذا هو جوهر فلسفة مفهوم الدهر هنا، إذا أخذنا بالتعريف الذي يقول إن الفلسفة هي الجهد المبذول لمعرفة ما يجري الحديث عنه.

ومما يجدر الاستطراد إليه أن نفراً من المتكلمة وأصحاب المعجمات المتخصصة الاصطلاحية، وبعض الفلاسفة نظروا إلى الدهر في ماهيته نظرات متأثرة بما وقفوا عليه من أحاديث وآراء مترجمة، أو من آراء كانت وليدة التأمل الخاص والتجربة الشخصية مازجين بين مفهومي الدهر والزمن. ومن المعروف في الثقافات الإنسانية أن الزمن كان من الموضوعات التي شغلت المفكرين منذ القدم، من أرسطو، وزينون، وهرقليطس، وبارمنيدس، وأفلاطون.. وصولاً إلى جون لوك، وبرغسون، وجورج بوليه، وجان بياجيه، وهيدجر.. فضلاً عن الروائيين الذين شغلتهم أيضاً فكرة الزمن واستقلّت بقدر من إبداعهم الروائي كفرجينيا وولف، وجيمس جويس، ومارسيل بروست الذي اتخذ من الزمن بطلاً لروايته «البحث عن الزمن المفقود» (٥٩). ومن غير المتوقع أن يكون أهل المنطق والفلسفة وعلماء الكلام من أجدادنا العرب والمسلمين في مبعدة عن التأثر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بهذا التراث الإنساني بعد ذلك النشاط الواسع والمبكّر في ميدان الترجمة، من بغداد إلى الأندلس. ومن البديهي أن يفندوا في جزئياته ويضيفوا إليها أو يعدّلوا في صوغها ومعطياتها وشرحها. ولعله من هنا نشأ النظر إلى الدهر مقروناً مع الزمن من جهة، ومع الخبرة والرؤية الشخصية من جهة أخرى. أو نشأ النظر إليه دالاً على الديمومة والثبات، في حين دلّ الزمن عندهم على الوجود والتتابع وكأنه تيار مستمر وحدُّه مدّة أقل كما سبق القول: زمن فلان، وزمن الرُّطَب.

وتداخل في هذا الإطار مفهوم الدهر ومفهومات أخرى، مثل: الأبد، والأمد، والسَّرمد.. فلم يكن من السهل تخليص كل منها من الآخر. قال صاحب «التعريفات» في بعض ذلك:

«الدهر: هو الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان وبه يتّحد الأزل والأبد»(٦٠).

وقال: «السَّرْمَد ما لا أول له ولا آخر»(٦١).

فبدا كتعريف الدهر في معاجم أخرى، ولكنه أكثر وضوحاً وبياناً عندما لخص تصوّره للدهر وما يتصف به من القدم والدوام حين قال: «الأزلي: ما لا يكون مسبوقاً بالعدم. اعلم أن الموجود أقسام ثلاثة لا رابع لها، فإنه إمّا أزلي أبدي وهو الله سبحانه وتعالى، أو لا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا، أو أبدي غير أزلي وهو الآخرة، وعكسه محال، فإن ثبت قِدَمُه امتنع عدمه»(٦٢).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صفوة القول إن الدهر في التصوّر الذهني التجريدي، أو الدهر الفلسفي ضربٌ من البحث عن متخيَّل، أو بحث عما يمكن أن يصلح، للحد والاصطلاح والإفهام، أو هو بحث عن تجلٍّ آخر يوفّق بين الآونة (جمع آن)، والآماد، والديمومة، والغلبة، والقدسية، والعادة.. أو ينتصر لأحد هذه التصورات. فأين الإنسان من هذا؟ أيصطفّ كالأشجار على الضفاف والدهر يجري؟ أم هو جزيرة والدهر يُحْدِق به؟! أم أن الدهر مجموعة من الإدراكات المختلفة المتباينة، أو الإسقاطات الصُّورية العُقدية التي أرّقت يقين الذات وتركت في طفولتها أو صباها ندوباً وتصدّعات؟!.

فلنستفتِ النصوص لعلها تضيء لنا بعض ما أظلم أو غَوَّر من معاني الدهر، مع الإشارة إلى أن ما سنتخيَّر من شواهد هنا ينعقد على تتبّع «تجليات» الدهر، أو على عرض ملامح صورته هيكلاً، وخصماً، وذا وظيفة ومواصفات وفعل.. إلى ما هنالك مما يضفيه عليه الإنسان المبدع من سمات تثير الدهشة، وتوقع في الحيرة والاضطراب.

- الدهر في هيئة إنسان:

كان من مظاهر إنسانيته تصوُّره أباً بكنية. جاء في لسان العرب: «ولا آتيك أَلْوَة أبي هبيرة؛ أبو هبيرة هذا هو: سعد بن زيد مناة بن تميم، وقال ثعلب: لا آتيك أَلْوة بن هبيرة، نصب ألوة نصب الظروف، وهذا من اتساعهم لأنهم أقاموا اسم الرجل مُقام الدهر»(٦٣).

وجاء في «مقامات» الحريري(٦٤):

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد في أنحائه ومقاصده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تعاميت حتى قيل إني أخو عَمَى ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ومن أبرز الصور الشعرية التي رسمها شاعر يشبه الدهر بالإنسان قول أحد الشعراء[٦٥]:

إني رأيتك سيدي في مجلس قعد الملوك بحافتيه وقاموا
فكأنك الدهر الصؤول عليهم وكأنهم من حولك الأيامُ

وممن شبهوا الدهر بالإنسان الشاعر شَمْعَلة بن فائد التغلبي في قوله[٦٦]:

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر، لا عارٌ بما فعل الدهر

وشبيه بهذا قول سَلْم الخاسر للمهدي وكان قد توعّده[٦٧]:

وأنت كالدهر مبثوثاً حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ
ولو ملكتُ عِنانَ الريح أصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلبُ

وخلع العرب على الدهر بعضاً من صفات الإنسان ولوازمه أو خصائصه فنسبوا إليه التناسل والتكاثر والولادة والأبوة (كما ذكر قبل قليل)؟ ولعل من أبرز التعابير التي تضمنت بعض هذا قولهم: «بنات الدهر» أي بلاياه وحوادثه. قال عمرو بن قميئة[٦٨]:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرْمى وليس برامِ
فلو أنها نَبْلٌ إذاً لاتّقيتها ولكنني أُرمى بغير سهامِ

وقال قيس بن الخطيم[٦٩]:

تناوَلُه بنات الدهر حتى تُثَلِّمَه كما انثلم الإناءُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الممزق العبدي[٧٠]:

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ أم هل له من حمام الموت من راقِ؟
قد رجّلوني وما رُجِّلت من شَعَثٍ وألبسوني ثياباً غير أخلاقِ

والدهر عندهم يضحك ويبتسم، كما في قول أبي تمام[٧١]:

ويضحك الدهر منهم عن غطارفة كأن أيامهم من أُنْسها جُمَعُ

وفي قول أبي الطيب المتنبي [٧٢]:

لقد حَسُنَت بك الأوقات حتى كأنك في فم الدهر ابتسام

والدهر يأكل، كما يرى تميم بن مقبل[٧٣]:

فأخْلِفْ وأتْلِفْ إنما المال عارةٌ وكُلْه مع الدهر الذي هو آكله

ولا يُغْفِل المرء الاستعارة هنا أو يغفل عنها، وإنما يجعل مدار القول على اللفظ وتوجيه الذهن إليه.

والدهر يلعب، ولكن لعبه قاتل كما أورد صاحب اللسان في قول الشاعر[٧٤]:

ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجالْ

جعل إهلاكه إياهم لعباً.

وأنشد ابن بري لأبي دواد يعاتب امرأته في سماحته بماله[٧٥]:

والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعاله

وقال يزيد بن مفرّغ الحميري[٧٦]:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لو بغيري من معشـر لعـب الدهـ ـرُ لمـا ذمّ نصرتـي واحتيـالي

والدهر «يسطو» وله، «كالإنسان» كفّ وشعر أشيب، ويمكـن أن يكون أمرد، ويصوّر ذلك قول ابن سناء الملك مفتخراً(٧٧):

ولكنني لا أرهب الدهر إن سـطا ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا
ولو مدّ نحوي حادث الدهر كفّه لحدّثتُ نفسـي أن أمـدَّ لـه يـدا
وقدماً بغيري أصبح الدهـر أشـيباً وبي وبفضلي أصبح الدهر أمردا

وللدهر أطراف وجوارح، على ما يرى الراعي النميري في قوله(٧٨):

هم كاهل الدهر الذي يتّقـى بـه ومَنْكِبُه إن كان للدهـر مَنْكِـبُ

أو كقول الآخر:

هم ساعد الدهر الذي يتّقـى بـه وما خير كـفٍّ لا تنـوء بسـاعد

وللدهر يدان كما في قول أحد الحكماء: «يسار الدهـر فـي الأخـذ أسرع من يمينه في البذل. لا يعطي بهذه إلا ارتجع بتلك»(٧٩).

أو يد واحدة كما في قول أبي فراس الحمداني(٨٠):

ومـا هـو إلا أن جـرت بفراقنـا يد الدهر حتى قيل: من هو حارث؟

وهذا من كلام العرب وتعابيرهم المشهورة، يقال: لا أفعله يـدَ الدهـر أي أبداً، ولا آتيه يَدَ الدهر أي الدَّهْرَ، أو الدهر كله(٨١).

والدهر عند أبي فراس الحمداني كالخياط أو الرفّاء، يقول(٨٢):

ولا وأبي ما يفتُـق الدهـر جانبـاً فيرتقـه إلا بـأمر مسـدّدِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والدهر يَطْبُل ويَزْمُر، وشاهد ذلك أنّ ضيفاً نزل بأعرابية فقدمت له خبزاً يابساً ولبناً حامضاً، فذمّها وقال(٨٣):

ألم تَرَ أن المرء من ضيق عيشه ... يلام على أخلاقه وهو مُعْذَرُ

وما ذاك من لؤم ولا من ضراعةٍ ... ولكنه إن يَطْبُلِ الدهرُ يزمُر

والدهر يكسو ويُلْبس كما عبَّر المرّار بن منقذ في هذه الأبيات، قال(٨٤):

عجبٌ خولة إذ تنكرني ... أم رأت خولةُ شيخاً قد كَبِرَ

وكساه الدهر سِبّاً ناصعاً ... وتحنّى الظهر منه فأُطِرْ

قد لبستُ الدهر من أفنانه ... كل فنٍّ حَسَنٍ منه حَبِرْ

كأن الدهر خليفة أو أمير خلع عليه ثوباً أبيض تمهيداً لرحلة ما بعد الكبر، أو كأن الشاعر اتخذ من الدهر أثواباً مشى فيها الحُسْن والتزيين والتلوين ! ...

وللدهر عمر كالإنسان، وهو مثله يكتهل، على حد تعبير الشاعر في قوله(٨٥):

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهـ ... ـرُ وأثواب عمره جُدُدُ

والدهر صاحب كتاب كتبه بخطه، كما في قول الشاعر(٨٦):

تلاحظني المنية من قريب ... وتلحظني ملاحظة الرقيبِ

وتنشر لي كتاباً فيه طيٌّ ... بخط الدهر أسطره مشيبي

وهو طالب بثأر كالجاهليين في نظر سعيد بن حميد، قال(٨٧):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فما أعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب

وتثقل الخنساء صورة الدهر بأسلحة الفتك والافتراس حتى ليبدو مزيجاً من صورة الوحش الضاري والشيطان والإنسان وهو يصيب ببطشه الجن والإنس. تقول(٨٨):

تعرقني الدهر نهسا وحزا وأوجعني الدهر قرعا وغمزا

ثم تقول(٨٩):

فلم أر مثله رزءا لجن ولم أر مثله رزءا لأنس

نهش لحمها بأسنانه الحادة فعرى لحمها عن عظمها عضاً وقطعاً بغير ما هوادة.

والدهر يرى ويعض كما يتخيله أبو فراس الحمداني في قوله(٩٠):

وهل نافعي أن عضني الدهر مفرداً إذا كان لي قوم طوال السواعدِ؟

ولكن هذا «العض» يبدو أقل إيجاعاً وأخف وطأة على جميل بثينة إذ يقول(٩١):

ولست كمن إن سيم ضيماً أطاعه ولا كامرئ إن عضه الدهر ينكل

ومن لا يذكر الشاهد المشهور على الطباق في كتب البلاغة مقروناً مع عضّ الدهر في قول الشاعر:

عضّنا الدهر بنابِهِ ليت ما حلَّ بنا به

وقد يدفع الدهر الإنسانَ في طريق المهالك، ويجور بغير ما إنصاف، يقول من ذلك صاحب المقامات(٩٢):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصَهْ
ولو أنصف الدهر في حكمه لما ملَّك الحكمَ أهل النقيصهْ

ويلح الدهر أحياناً مبالغاً في محاصرة الإنسان، ويُنْحي بكلكله كما في قول أعرابي لعمر بن هبيرة الفزاري(٩٣):

أصلحك الله قلّ ما بيدي فما أطيق العيال إذ كثروا
ألحّ دهر أنحى بكلكله فأرسلوني إليك وانتظروا
رجوك للدهر أن تكون لهم غيثَ سحاب إن خانهم مطرُ

والدهر يلاحق ابن آدم بالإتلاف والإفناء، كما في قول ابن أبي فنن(٩٤):

أرى الدهر يخلقني كلما لبست من الدهر ثوباً جديدا

وقد يجرّد الشاعر الدهر من صفات الإنسان وأفعاله وجوارحه ويلصق به مزية الضرر العام بالبشر كقول يزيد بن مفرّغ الحميري(٩٥):

يا بُرْدُ ما مسّنا دهر أضرّ بنا من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

وهو ذو عَرَامة (شراسة وأذى) كما قال ابن مفرّغٍ نفسه(٩٥):

كانوا صديقاً قبل ذا فألمَّ دهر ذو عَرَامه

والدهر كاللص يترقب غفلة الناس ليختلس أغلى ما عندهم. وتستوقف هذه اللصوصية أحد الدارسين المحدثين فيرى فيها ضرباً من العلاقات الاجتماعية التي يبدو الدهر طرفاً غير محايد فيها، يقول(٩٦):

«فحين يتأمل ديك الجن يرصد علاقته بالناس، ويخرج علينا بصورة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تتفلت فيها الأطراف من أشكالها الظاهرية وعلاقاتها اليومية، وتتلاقى في علاقات جديدة تنبع من مخيلة الشاعر فيستعين بصورة اللص في حياتنا العادية، ويسمو على حقيقته في الصورة الفنية فيقول:

يرقد الناس آمنين وريبُ الد هر يرعاهم بمقلة لصّ

والدهر خبيث كما يتراءى لثابت بن هارون الرَّقي حين قال يرثي أبا الطيب المتنبي(٩٧):

والدهر أخبث والليالي أنكدُ من أن تعيش لأهلها يا أحمد

والدهر غدّار لا يؤتمن. وهذه الصورة له تعاورها الشعراء فصاغوها في قوالب مختلف لتؤدي معنى واحداً. من ذلك قول الخليفة المعتضد لما حضرته الوفاة(٩٨):

ولا تأْمَنَنَّ الدهر إني أَمِنْتُهَ فلم يُبْق لي خِلاً ولم يرْعَ لي حقا

ومن مثل ذلك ما نقل الزمخشري في أساس البلاغة عن أحد الشعراء، قال(٩٩):

لا يأمَنَنَّ قويٌّ نقض مِرَّته إني أرى الدهر ذا نقض وإمرار

(المِرَّة: الشدة وقوة الفتل والإحكام، وإنّ الدهر لينقض ذلك فهو أقوى).

وقال زياد بن زيد من مثل هذا(١٠٠):

وإنَّ امرءاً قد جرّب الدهر لم يخف تقلُّب عصريه لغير لبيب

فلا تيأسنَّ الدهر من حبّ كاشح ولا تأمننَّ الدهرَ صرمَ حبيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما اعتل سيبويه ووضع رأسه في حجر أخيه فبكى هذا، قال[١٠١]:

أخيين كنا فرّق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى ومن يأمنِ الدهرا؟

وعلى ذلك قول أحدهم: «الدهر لا يُؤْمَن يومُه، ويُخاف غدُه. يُرضع ثديه وتجرح يده»[١٠٢]. وقال البحتري[١٠٣]:

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمَنُ الدهر أن يُدْعى على عجلِ

وعن خيانة الدهر والأصادق يقول أبو فراس الحمداني[١٠٤]:

يا دهر خنتَ مع الأصادق خُلّتي وغدرت بي في جملة الإخوان

والدهر كالصياد المخاتل يرمي الناس بسهامه ونَبْله فيصيب منها مقتلاً، ونقف على مثل هذه الصورة عند أبي فراس الحمداني في قوله[١٠٥]:

أقِلْني! أقلني عثرة الدهر إنه رماني بسهم صائب النصل مُقْصِدِ

وعند عمرو بن قميئة في قوله[١٠٦]:

فوَّق الدهر إلينا نَبْلَه عَلَلاً يقصدنا بعد نَهَلْ

فهو رامينا ولا نُبصره مثل رامٍ رامَ صيداً فختلْ

وعند أبي الطيب المتنبي في قوله[١٠٧]:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

وعند القاضي أبي الفضل اللوكري في قوله[١٠٨]:

الدهر يلعب بالفتى لعب الصوالج بالكره

الدهر قنّاص وما الـ إنسان إلا قنبره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقبل هؤلاء عبر زهير بن أبي سلمى عن هذه الفكرة بقوله[١٠٩]:

فاستأثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما أرمي
يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم
وسلبتنا ما ليس معقبه يا دهر ما أنصفت في الحكم

واصطياد الدهر بني البشر لا يخلو من مجابهة ومراماة أحياناً، كما في قول يزيد بن مفرغ الحميري[١١٠]:

عالجت أياما أشبن ذوائبي ورميت دهراً عارماً ورماني

ومن سمات الإنسان في الدهر أنه يمكن أن يؤمر، ويكلف عملاً، ويوظف لأغراض يتخيلها القوم، من ذلك على سبيل التمثيل قول سبط ابن التعاويذي يمدح الخليفة المستضيء (٥٦٦- ٥٧٥هـ) [١١١]:

ولولاك ما صحت عقيدة مؤمن تقي، ولم يقبل دعاء ولا نذر
مر الدهر يفعل ما تشاء فإنه بأمرك يجري في تصرفه الدهر

ومن مثله مشوبا بالفخر قول المتنبي [١١٢]:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

وقول آخر[١١٣]:

وقال: اغتنم من دهرنا غفلاته فعقدُ وداد الدهر غير وثيق
وإني من لذاتِ دهري لقانع بحلو حديث أم بمرٍّ عتيق

والدهر يروع الإنسان الآمن القرير حتى ليكاد ذلك الإنسان يحسد الوحش غير المروع في مثل قول أبي صخر الهذلي[١١٤]:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منهما لا يروعهما الدهر

ويتبدى الدهر للإنسان كالغول يأخذه من حيث لا يدري فيهلكه، يقول أمية بن أبي الصلت في ذلك(١١٥):

فاجعل الموت نصب عينيك واحذرْ غولة الدهر إن للدهر غَولا

وعن غول الدهر يقول حِطّان بن المُعَلّى(١١٦):

أنزلني الدهر على حكمه من شاهق عالٍ إلى خفضِ
وغالني الدهر بوفر الغنى فليس لي مال سوى عرضي

والدهر مُبْكٍ كما يفهم من قول المرقش الأصغر(١١٧):

تبكي على الدهر والدهر الذي أبكاك، فالدمع كالشَّنِّ الهزيم

(والشَنَّ: القربة الخَلَق الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها. والهزيم: صوت الرعد).

وينيخ على نفس الإنسان كما جاء في هذا الشعر المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إني أقول لنفسي وهي ضيقة وقد أناخ عليها الدهر بالعجب
صبراً على شدة الأيام إنّ لها عُقبى، وما الصبر إلاّ عند ذي الحسب

ويثلم العرض على ما جاء في الشاهد الآتي(١١٨):

وإنّ امرءاً لم يثلم الدهر عرضه على طول تعنيف لموضع مُدَّخر

والدهر مهدِّم العروش والبيوت كما في قول يزيد بن مفرِّغ الحميري(١١٩):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هـدم الدهــر عرشـنا فتداعـى فبَلِينـــا إذ كـــل شـــيء بـــالِ

والدهر يفجع كما يعبر لبيد بن ربيعة في قوله(١٢٠):

فلا جـزع إن فـرق الدهـر بيننـا فكل فتى يوما بـه الدهـر فـاجع

والدهر ذو لون يوحي للإنسان بالرهبة والفرق، علـى وفـق مـا يـرى بشار بن برد في قوله:

خليلي ما بال الدجـى ليـس يبـرح ومـا بـال ضـوء الصبـح لا يتوضـح

أضـلَّ الصبـــاح المستنيـــر طريقـــه أم الدهـر ليـل كلـه ليـس يبـــرح

ويقول الدكتور شوقي ضيف معلقاً على هـذه الصـورة: «وهوخيـال زاخر بالحركة، وفيه تعميم، فقد تحول الدهر ليلاً مظلماً لا آخر له»(١٢١).

والدهر يغمز العظم على ما جاء في اللسان(١٢٢):

ومن يلق خيرا يغمز الدهر عظمـه علـى ضَعَـفٍ مـن حالـه وفتـور

وقد يُرْجى للعون والمساعفة كما في قول جميل بن معمر(١٢٣):

وقالت: ترفّق فـي مقالـة نـاصح عسى الدهر يوماً بعد نأي يساعف

أو قد يتخذ خليلاً في علاقة إنسانية كالأحياء، على ما جاء في قـول الخنساء(١٢٤):

لـو انّ الدهــر متّخـذٌ خليـــلاً لكـان خليلـه صخـرَ بـن عمـرو

والدهر قد يحنو كما يبدو في قول أمية بن أبي الصلت (١٢٥):

وراكعهم يعنو له الدهر خاشـعا يـــردد آلاء الإلـــه ويحمـــد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أفاعيل الدهر:

تحت هذا المفهوم العام حول فِعال الدهر وأفاعيله وضع المبدعون العرب، قدماء ومحدثين، في الشعر والنثر مجموعة من الكلمات وظفوها للتعبير عما يلم بهم من كوارث ونكبات وبلواء، وعما يعرض لهم من محن ومعاناة ومآس، حتى شاعت في كتاباتهم وصورهم الشعرية بتسميات باتت مقرونة مع الدهر وكأنها من لوازمه، من مثل: صروف الدهر، وقوارعه، وحدثانه، ونائباته، وخطوبه، وجرائره، ومكارهه، وأحواله، وأرزاؤه، وتقلّبه.. إلى ما يشبه ذلك أو يرادفه من الألفاظ. ونورد منها هنا أمثلة قليلة آملين أن تقدّم فكرة مقبولة، أو انطباعاً وافياً عن تجلّي الدهر للعربي.. انطباعاً كان بعضه وليد الضيق والغيظ الحقين والمرارة، وكان بعضه الآخر وليد التأمُّل والعبرة والاتعاظ، فمن ذلك قول أبي تمام (١٢٦):

إن كان بين صروف الدهر من رحم موصولة أو زمام غير منقضب

(ويروى: بين مرور الدهر، وهو أجود).

فبين أيامك اللاتي ظفرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب

وقول المتنبي (١٢٧):

لما رأيت صروف الدهر تغدرُ بي وفَيْنَ لي ووفت صمُّ الأنابيب

وقول أبي فراس الحمداني (١٢٨):

لا رعى الله يا خليليَّ دهراً فرقتنا صروفه تفريقا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الحديث عن صروف الدهر ما أورده المبرّد في «الكامل»: قال: «نزل النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة مونقة ليلهو النعمان هناك. فقال له عدي بن زيد: أيها الملك! أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال: تقول:

من رآنا فليحدِّثْ نفسه ... أنه موفٍ على قرن زوالْ
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما نأتي به صمُّ الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا ... يمزجون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فُدُمٌ ... وجياد الخيل تردي في الجلال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم ... وكذاك الدهر حالاً بعد حال

قال: فتنغّص النعمان»[١٢٩].

ومن ذلك قول أحد الشعراء[١٣٠]:

والدهر في صروفه ذو عَجَبٍ ... يدني بها كلَّ جديد للبِلى

وقال أبو نصر العتبي[١٣١]:

لما سئلت عن المشيب أجبتهم ... قول امرئ في وده لم يمذقِ
طَحَنَ الزمان بريبه وصروفه ... عمري فصار طحينه في مفرقي

وقال شمس المعالي قابوس بن وشمكير[١٣٢]:

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا ... هل حارب الدهر إلا من له خطر

وقالت الخنساء في أخيها صخر[١٣٣]:

فلم أر مثله رزءاً لجنٍّ ... ولم أرَ مثله رزءاً لأنس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أشدَّ على صروف الدهر أَيْداً وأفصل في الخطوب بغير لبس

وعبّروا أحياناً بالمفرد «صرف» عن الصورة نفسها. قال الشيخ السيد أبو الحسن مسافر بن الحسن يمدح[١٣٤]:

ظفرت بما تشاء من الأماني وأغمد عنك صرف الدهر ظِفْره

ويقول متمم بن نويرة جامعاً بين النكبة والرزء المنسوبين إلى الدهر[١٣٥]:

ولست إذا ما الدهر أحدث نكبة ورزءاً بزوّار القرائب أخضعا

ولا فرحاً إن كنت يوماً بغبطة ولا جزعاً إن ناب دهر فأضلعا

(وأضلع: أمال الشيء وحناه).

ويقول الشيخ مسافر بن الحسن في «حادثات» الدهر[١٣٦]:

إليك المشتكى لا منك ربي وأنت لحادثات الدهر حسبي

ويقول أبو ذؤيب الهذلي في «حَدَثانه» من أبيات متباعدة في قصيدة واحدة[١٣٧]:

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

(وجون السراة: عنى حماراً، والسراة: أعلى الظهر. والجون: الأسود إلى حمرة، والجدائد: الأُتُن اللواتي خفّت ألبانهنّ، واحدتهن جدود).

والدهر لا يبقى على حدثانه شَبَبٌ أفزّته الكلاب مروَّع

(الشبب: المسنّ من الثيران. أفزّته: طردته وأفزعته).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والدهر لا يبقى على حدثانه مُسْتَشعرٌ حَلَقَ الحديد مقنَّعُ

(مستشعر: متّخذ شعاراً، أي ثوباً يلي البدن. حلق الحديد: الدروع. مقنّع: لابس المغفر).

ويقول جميل بن معمر(١٣٨):

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمةً على حدثان الدهر مني ومن جُملِ

وقالت امرأة الأحنف بن قيس في رثائه وذكرت «جرائر الدهر»(١٣٩).

لله درُّك أي حشو ثرى أصبحت من عُرْفٍ ومن نُكْرِ
إن كان دهر فيك جرَّ لنا حَدَثا به وَهَنَتْ قوى الصبرِ
فلكم يدٍ أسديتها ويدٍ كانت تردُّ جرائر الدهر

وللدهر «قوارع» عند لبيد العامري في قوله(١٤٠):

فلا جزع إن فرّق الدهر بيننا فكل امرئ يوماً به الدهر فاجع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى وأي كريم لم تصبْه القوارع

وللدهر «حانيات» تحدِّب ظهر الإنسان وتحنيه كما يرى أبو الطمحان القيني في قوله(١٤١):

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل أدنو لصيد

وحَوَال الدهر: تغيُّرُه وصرفه. التهذيب: ويقال: إن هذا لمن حُوْلة الدهر وحُوَلاء الدهر وحَوَلان الدهر وحِوَل الدهر، وأنشد(١٤٢):

ومن حِوَلِ الأيام والدهر أنه حَصِينٌ يحيّا بالسلام ويحجب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال قطري بن الفجاءة لزوجه أم حكيم وذكر نائبات الدهر(١٤٣):

لعمرك إني يوم ألطم وجهها على نائبات الدهر جدُّ لئيم

ومثل هذا قول ضابئ البُرْجمي(١٤٤):

فلا خير فيمن لا يوطّن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

وقول آخر(١٤٥):

ومن يبتليه الدهر منه بعثرة سيكبو لها والنائبات تردد

فلم تسلم الدنيا وإن ظن أهلها بصحتها والدهر قد يتجدّد

ويقول محمد بن كعب الغنوي(١٤٦):

أخي كان يكفيني وكان يعينني على نائبات الدهر حين تنوب

وفي «ريب الدهر» يقول عبد قيس بن خفاف(١٤٧):

أوصيك إيصاء امرئ لك ناصح طَبِنٍ بريب الدهر غير مغَفَّل

وفي ذكر «خطوب» الدهر أنشد بعضهم يرثي الأصمعي فقال(١٤٨):

لا دَرَّ درُّ خطوب الدهر إذ فجعت بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا

عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى ما عشت منه ومن آثاره خلفا

وقال أبو تمام (١٤٩):

لقد ساسنا هذا الزمان سياسةً سدى لم يسسها قط عبد مجدَّعُ

تروح علينا كل يوم وتغتدي خطوب كأنّ الدهر منهنّ يُصْرَعُ

وللدهر عند الخنساء «إخْلاء وإمرار» في قولها ترثي أخاها صخراً(١٥٠):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فما عجول لدى بـوٍّ تطيـف بـه قد ساعدتها على التحنان أظْـآرُ
أودى به الدهر عنها فهي مُرْزِمةٌ لهـا حنينـان إصغـار وإكبـار
يومـاً بـأوجع منـي يـوم فـارقني صخـرٌ، وللدهـر إحـلاءٌ وإمـرار

وللدهر عوائق وطرائق في ما هو عليه من تقلّبه كما في قول الراعـي النميري[١٥١]:

يـا عجبـاً للدهـر شتّى طرائقـهْ وللمرء يبلـوه بمـا شـاء خالقُـهْ

والدهر قُلَّب سريع التغيُّر مثلما عبر محمد بـن عبـاد بـن حبيـب بـن المهلّبي، قال[١٥٢]:

إذا عـثرة نـابت صديقَـك فـاغْتنمْ مرمتهـا فـالدهر بالنـاس قُلَّـبُ
وبـادرْ بمعـروف إذا كنـت قـادراً زوالَ اقتدار أو غنـىً عنـك يذهـب

وقال يزيد بن مفرِّغ الحميري[١٥٣]:

وولّـى ومـاء العيـن يغسـل وجههـا كأن لم يكن، والدهر بالناس قُلَّـبُ

ويقولون على غرار ذلك: الدهـر ذو غِيَر، يعنـون أحوالـه المتغيِّرة. وورد في حديث الاستسقاء:

من يكفُرِ الله يلقَ الغِيَرَ، أي تغيُّرَ الحـال وانتقالهـا مـن الصـلاح إلـى الفساد[١٥٤].

وإذا كان الدهر ذا غِيَرٍ وقلّباً لا يستقرُّ على حال، فإنه لكذلك يفعـل بالناس؛ يقلّبهم في سرر النعمـة وخفـض العيـش مـن جهـة، وفـي النوائـب والحرائق من جهة أخرى، يقول محمد بن وهيب في ذلك[١٥٥]:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما زلتُ مذ كنت في نعمةٍ يقلّبني الدهر في خفضه
وأنزل من ملك قادرٍ بمنزلة البعض من بعضه

ومن مثل هذا قول الهمذاني(١٥٦): «قد جرّبني الدهر في زمنيْ رخائه وبوسه، ولقيني بوجهي بشره وعبوسه».. وأنشد:

وإن كان صرف الدهر قدماً أضرَّ بي وحمَّلني من ريبه ما يُحمِّلُ
فقد جاء بالإحسان حيث أحلّني مَحَلَّةَ صدق ليس عنها مُحَوَّلُ

وللدهر تجليات وصور غريبة تدعو إلى التأمل، وتثير العجب، أو تلخّص أنماطاً من التجارب الإنسانية على مر العصور وتفاوت بديع الصنع وشطحات الخيال، من ذلك مثلاً قول قابوس بن وشمكير: «الدهر شرّ كله، مفصّله ومجمله، إن أضحك ساعة أبكى سنة، وإن أتى بسيِّئة جعلها سُنَّة»(١٥٧).

وهذه المبالغة في تصويره على الضدية والتكلّف اللفظي تنمُّ على الموقف من الدهر، وعلى المعاداة والاتّهام وتَلَبُّس الشرّ..

ومن الاستعمالات النادرة في تصوير الدهر أن يكون له «صائح»، و«شهاب»؛ ذلك ينعب بالشؤم والبين والفراق، وهذا يصيب بسهمه الناري مَقَاتِل البشر. تقول الحُرَقة، أو هند بنت النعمان بن المنذر لسعد بن أبي وقّاص لما قدم الحيرة: «إنّا كنا ملوك هذا المصر من قبلك، يجيء إلينا خراجه، ويطيعنا أهله زمان الدولة، فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت جمعنا، وكذلك الدهر يا سعد؛ إنه ليس من قوم بسرور وحَبْرَة إلا والدهر مُعقبُهم حسرة، ثم أنشأت تقول(١٥٨):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نَتنصَّف
فأُفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرُّفُ

وقال الناجم[١٥٩]:

هل موئل من شهاب الدهر ينجينا أيٌّ وما تتّقيه كامنٌ فينا

وللدهر أجنحة كالنسور والعقبان على ما يحكى من أنه قيل لقتيبة بن مسلم الباهلي لما بلغ حدّ الصين[١٦٠]: «قد أوغلت في بلاد الترك، والحوادث بين أجنحة الدهر تُقبل وتُدبر، فقال: بثقتي بنصر الله توغّلت، وإذا انقضت المُدَّة لم تنفع العُدَّة، فقال الرجل: اسلك حيث شئتَ فهذا عزم لا يفلّه إلا الله».

– والدهر «متعدِّد» وهذا من أغرب ما قيل فيه إذا ما تأمّلت معانيه في المعجمات العربية. وقد جاء من ذلك على لسان أبي فراس الحمداني قوله[١٦١]:

ولم أدر أن الدهر في عدد العدا وأن المنايا السود يرمين عن يد

أي أن اليد لا تخطئ الإصابة.

ومن ذلك قول المتنبي [١٦٢]:

تدمي خدودهم الدموع وتنقضي ساعات ليلهم وهن دهور

وقوله[١٦٣]:

وقلة ناصر جوزيت عني بشر منك يا شر الدهور

وقوله[١٦٤]:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غدا الناس مثليهم بـه لا عدمتـه وأصبح دهري فـي ذراه دهـورا

وهذا اللون من التصور يقوم على المبالغة والتنـوع أو التفـاوت فـي الضـرر والأذى.

- والدهر شبيه بالأخ الشقيق في الملازمة والعلاقة، على وفق قول إبراهيـم ابن العباس(١٦٥):

وكنت أخي كـالدهر حتـى إذا نبـا نبوت، فلما عاد عـدت مـع الدهـر

والدهر يؤثر في الحجارة الصلبة على حد قول غريقـة بـن مسـافع (وقيـل: البيت لمحمد بن كعب بن سعد الغنوي)(١٦٦):

تقول سليمى ما لجسمك شـاحبا كـأنك يحميـك الشـراب طبيـب

فقلت ولم أعي الجواب ولـم ألـح وللدهر فـي صـم السـلام نصيـب

وللدهر همة أو همم، ولكنها دون همة ممدوح المتنبي في قوله(١٦٧):

لـه همـم لا منتهـى لكبارهـا وهمته الصغرى أجل من الدهـر

ويقول ابن حزم الأندلسي شاكياً الدهر متشائماً منه(١٦٨):

هل الدهر إلا ما رأينا وأدركنـا؟ فجائعـه تبقـى ولذاتـه تفنـى

إذا أمكنـت فيـه مسـرة سـاعة تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا

ويقول يزيد بن معاوية من مثل ذلك في ما يشبه الحكمة التي تلخص حيـاة الإنسان(١٦٩):

أموالنا لذوي الميراث نجمعهـا ودورنـا لخـراب الدهـر نبنيهـا

وربما جاء الدهر من مكمّلات الصورة الشعرية من غير أن يراد جوهره في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السياق العام، كقول أبي بكر الدهّان[١٧٠]:

قد سرّني دهري وما ساءني بفقد عينيَّ بلى أنعما
لو كنت ذا عين وعاينتهم لكان أشهى ما إليَّ العمى

ويشبه هذا قول العباس بن المشوَّق[١٧١]:

واعجبٌ من الدهر وأوغاده فإنهم قد فضحوا الدهرا
لا ذنب للدهر ولكنهم يستحسنون الغدر والمكرا

وقريب من ذلك قول المتنبي[١٧٢]:

يُغيِّر مني الدهر ما شاء غيرها وأبلغ أقصى العمر وهي كَعابُ

(أي: وهي صبية نهد ثدياها).

ويقول أبو تمام الطائي[١٧٣]:

يومي من الدهر مثل الدهر مُشتهرٌ عزماً وحزماً وساعي منه

(والساع: جمع ساعة من الزمن).

وممّن امتدَّ بهم الأسى واستبدّ بهم الحزن حتى بدا في طول الدهر الشاعر سَلْم الخاسر، قال[١٧٤]:

حزن كطول الدهر باقٍ إذا مضت أوائله عادت إلينا الأواخرُ

ومن الصور الطريفة التي لم تشع في الشعر العربي قول أبي منصور الثعالبي في شكوى الدهر[١٧٥]:

حتى متى أنا يُدْمي العض أنْمُلَتي غيظاً على زمن قد رام أزماني
في كل يوم أراني في نوائبه كأنني أصبعي والدهر أسناني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكأن الدهر أسنان الشاعر يعضّ بها على إصبعه كل يوم ندماً وحسرة؟!.

وحكم الدهر قبيح حين يحكم على الإنسان، أو يتحكّم في مصيره. وعن هذا المعنى يعبّر أبو الفتح بي أبي حصين وقد اضطر إلى النزول ضيفاً[١٧٦]:

وأخٍ مسّه نزولي بقُرْحٍ مثل ما مسّني من الجوع قرحُ
بتّ ضيفاً له كما حكم الدهـ ـرُ وفي حكمه على الحرّ قبح

وقلّما يشيد الشعر بإنصاف الدهر، أو يتغنّى بحسنه ونعيمه. بل يُعزى إليه شموله الأنام جميعاً بالشر والأذى والظلم، حتى إنه يظلم النخبة من ذوي الفضل والرفعة، على ما يرى الحسين بن علي البغوي في قوله[١٧٧]:

إن كان يظلمني دهري فإنّ له سجيّةً ظلْمُ أهل الفضل والشرف

وثمة شكوى أخرى من سلب الدهر أغلى ما للإنسان، ومن إزعاجه إياه حتى الإتلاف والإفناء. يقول المتنبي في ذكر شيء من ذلك[١٧٨]:

لم يترك الدهر في قلبي ولا كبدي شيئاً تتيّمه عين ولا جيدُ

ويقول أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني[١٧٩]:

يا دهر إنك لا محالة مزعجي عن خطتي ولكل دهر شان

(مزعجه: أي مُقْلِعُه من مكانه). ولا يخفى تصوّر الهمداني وجود مجموعة من الدهور، على غرار ما تقدم من صور له عند المتنبي.

ويغالي ابن المعتزّ في شكوى الدهر والتبرّم بفِعاله حتى ليحسد من مات فاستراح منه، يقول[١٨٠]:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ألست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا فذمّاً لـه لكـن للخـالق الشـكرا
لقد حبّـب المـوت البقـاء الـذي أرى فيا حسداً مني لمن سكن القبرا

وقريب من ذلك قول عبد الله بن طاهر(١٨١):

ألـم تَـرَ أن الدهـر يهـدم مـا بنـى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمـن سرَّ أن لا يـرى مـا يسـوؤه فـلا يتخـذ شيئاً يخـاف لـه فقـدا

وقول أبي الفتح البستي(١٨٢):

صبراً على الدهر الخؤون ورييه يـا نفـس كيـلا نبتلـي بكلابـه
وإذا صبرت علـى إسـاءة ظـالم لا تندمـي فثوابـه بـك لا بـه

ومن قلائد ابن الرومي في هذا المعنى(١٨٣):

دهـرٌ عـلا قـدْرُ الوضيـع بـه وتـرى الشـريف يحطـه شـرفُهْ
كـالبحر يرسـب فيـه لؤلـؤه سـفلاً، وتعلـو فوقـه جيفـه

وللدهرِ «أسْرٌ» أي حبل يُربط بـه كمـا يربـط الأسـير أو الحيـوان بإسـاره، ويعبر عن ذلك علي بن الجهم بقوله(١٨٤):

الدهـر أنـت بأسـره قمـرٌ ولـذاك ليلتـه مـن الشـهرِ

ويدخل الدهـر فـي الملاحـم والمعـارك فيصـوَّر محفوفـاً بهالـة مـن الغبـار المبيضّ، ويستعير بعض الشعراء هذا المرأى لوصـف الشـيب، كقـول ابـن المعتزّ(١٨٥):

قالت كبرتَ وشبتَ قلت لهـا هـذا غبـار وقـائع الدهـر

وقريب منه قول الموسوي(١٨٦):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما شبت من طـول السنين وإنمـا غبار حروب الدهـر غطّى سـواديا

وشر الدهر وأذاه أضعاف خيره أو مسرته، فهو لا يُعفي أحداً من شره على ما يؤخذ من قول الأحوص الأنصاري(١٨٧):

الدهـر إن سـرَّ لا قِـوَام لـه أحداثه تصدع الراسي من العلم
يستنزل الطير كرهاً من منازلها إلى المنية والآسادَ في الأجم
ويسلب الآمن المغترّ نعمته ويلحق الموت بالهَيّابة البَرَمِ

ولا يفلت أحد من قضاء الدهر وبطشه مثلما يرى وضاح اليمن مسايراً قول الأحوص في تصوير غطرسة الدهر، يقول(١٨٨):

يا دهرُ ما إن تزال معترضاً لآملٍ قبل منتهى الأمل
تنال كفُّاكَ كلَّ مسهلةٍ وحوتَ بحرٍ ومعقلَ الوعل

كأن بيده مصائر المخلوقات طرّاً: البحر بما فيه والسهل والجبل بما تضمّنا؟!

ويقول غيره عن أذى الدهر(١٨٩):

لطيٌّ ثلاثٍ واصطبار على أذى من الدهر خيرٌ من سؤال لئيم

ويقول آخر(١٩٠):

ألا خلّني أمضي لشأني ولا أكنْ على الدهر كَلاً إن ذا لشديد

وأي شيء أشدّ مضاضة على الإنسان من الدهر مادام لا يحمل غير الضغينة والأذى؟! ولكن ماذا يملك الإنسان لمواجهة تلك القوة الغاشمة الطاغية إلا الصبر؟! كما يقول شاعر آخر(١٩١):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جُرْ ما بدا لك أيها الدهر لك أن تجور وعندي الصبر

ومن الصور الطريفة المغايرة تصوّر الدهر قابلاً للانقسام كأي شيء مجسّم، أو كبيت من الشعر؟ يقول دريد بن الصمة(١٩٢):

يُغار علينا واترين فيُشْتَفَى بنا إن أصبنا أو نغير على وِتْر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فلا ينقضي إلا ونحن على شَطر

وللدهر عرض، أو هو عريض صراحة كما في الخبر الآتي: «قيل لخالد بن صفوان (من فصحاء العرب المشهورين): مالك لا تُنْفِقُ ومالُك عريض؟ قال: الدهر أعرض منه»(١٩٣). وذمَّ أعرابيّ رجلاً فقال: هو أكثر ذنوباً من الدهر.

– الدهر والرثاء:

بتأمل ما تقدّم من صور للدهر، وتعابير عن أفعاله بالناس، وصفات له وللوازمه يخلص المتأمل إلى أنه دهر «يَغُرُّ ويُمرّ، ويسوء من حيث يسرّ»، وأنه «لا تنتهي فيه المواهب حتى تتخللها المصائب، ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب»، و«حشو هذا الدهر أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معدوم». يبتلي الناس بالنوازل والخطوب والمحن فيهزّ مشاعرهم ويطبق على صدورهم حتى الاختناق.. وأشد ما يكون الفجع بين الناس يكون في الفقد، في فقد غال أو أخ حميم، أو مال عميم فهاهنا يجد المفجوع محرِّضاً على الشكوى من الدهر، والبكاء على من يحب.. أو لا يجد قبل الدهر من ينسب إليه الظلم وإنزال المصائب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والبلوى، ويصبح القول هنا ضرباً من التنفيس عن المفجوع، أو نوعاً من التفريغ النفسي باللجوء إلى القول والتذكر والترجيع، ويصبح الدهر وحده المسؤول عما جرى، أو يصبح وحده الظنين؟.

ولعل أقدم من كثر ذكر الدهر في مراثيهم الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الشريد). ومما قالته من ذلك على سبيل التمثيل لا التعداد أو الإحصاء[١٩٤]:

كل ابن أنثى بريب الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهدوم

(ويروى الشطر الأول: كل امرئ بأثافي الدهر مرجوم). وقالت[١٩٥]:

أرى الدهر أفنى معشري وبني أبي فأمسيت عَبْرَى لا يجف بكائيا

وقالت[١٩٦]:

تبكي خناسٌ على صخر وحق لها إذ رابها الدهر إن الدهر ضرارُ
لابد من ميتة في صرفها غِيَرٌ والدهر في صرفه حَوْل وأطوار

[حَوْل: أي تحوُّل وتقلُّب وتصرف/ الأغاني ١٥: ٨٢]. وقالت[١٩٧]:

لا أجزع الدهر على هالكٍ بعدك ما حنّت هوادي العِشارْ
إن يك هذا الدهر أودى به وصار مَسْحاً لمجاري القِطار
فكل حيٍّ صائرٌ للبلى وكل حَبْلِ مرُّه لانبتارْ

ومن هذا اللون الرثائي قول سعدى بنت الشمردل[١٩٨]:

هذا اليقين فكيف أنسى فقده إن راب دهرٌ أو نبا بيَ مَضْجَعُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقول حماد عجرد في رثاء محمد ابن أخي السفاح:

صرتَ للدهر خاشعاً مستكينا بعدما كنت قد قهرتَ الدهورا

ليتني متُّ حين موتك لا بلْ ليتني كنت قبلك المقبورا

وقال العكوَّك يرثي محمد بن حميد الطوسي(١٩٩):

أللدهر تبكي أم على الدهر تجزعُ وما صاحب الأيام إلاّ مفجَّع

أصبنا بيوم في حميد لوانّه أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع

وقال حريث بن جَبَلة العُذري، (وقيل: عِشْيَر بن لبيد العذري)(٢٠٠):

وبينما المرءُ في الأحياء مغتبط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

حتى كأن لم يكن إلا توهّمه والدهر في كلّ حاليه دهاريرُ

(أي مختلفة تصاريفه ونوائبه).

وهذا باب لا يغلق في بيت أو قبيل حتى يُفْتح في آخر، ولا في زمن حتى يُفتح في تاليه، كأن الرثاء تقليد شعري بكى فيه الشعراء قبل وقوفهم أو بكائهم على الأطلال، أو كان البكاءُ فيه ضرباً من رثاء الإنسان والأماكن، وسيبقى الرثاء تبيع الدهر ما حنّت النوق وشُيِّعت الجنائز.

ومما ارتبط بالدهر من ألوان الرثاء «رثاء الممالك والأقوام» الذي يصوِّر الدهر فيه كالإعصار أو الوباء، يعصف بكل ما فيه طريقه ويقوّضه ويَذرُه «قاعاً صفصفاً». ومن أمثلة ما قيل في هذا الموضوع نقتطف هذه الأبيات لأبي البقاء صالح بن شريف الرُّندي (نهاية ق٤هـ). قال من قصيدة طويلة(٢٠١):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فجـــائع الدهـــر أنـــواع منوّعـــة وللزمـــان مســـرّات وأحـــزان
يـا غـافلاً ولـه فـي الدهـر موعظـة إن كنـت فـي سنةٍ فـالدهر يقظـان
تلـك المصيبـة أنسـت مـا تقدمهـا وما لها، مـع طـول الدهـر، نسيان

ونظير هذا قول أبي الفتح البستي في نونيته[٢٠٢]:

يا عامراً لخـراب الدهـر مجتهـداً بالله هل لخراب الدهـر عمـران
وكن على الدهر معواناً لذي أمل يرجـو نـداك فـإن الحـرّ معـوان
من استشار صروف الدهر قام لـه على حقيقة طبـع الدهـر برهـان

وعبارة «طبع الدهر» في قصيدة البستي تلخّص ما قيل من أوصـاف الدهـر وأفعاله في الأبيات الآنفة الذكر، كما تلخص نظرة العربي القديم إليه رمـزاً للجور والطغيان والإخافة، كأنه طاعون هذا الكون!.

ويشاكل تصور البستي قول القاضي أبي بكر اللابسي[٢٠٣]:

تخيَّـــلْ شـــدّة الأيـــام لينـــا وكن بصروف دهـرك مستهينا
ألـم تَـرَ دورهـم تبكـي عليهـم وكـانت مَأْلفـاً للعِـزّ حينـا
وقفنـا معجبيـن بهـا إلـى أن وقفنـا عندهـا متعجّبينـا

وقريب مما سبق قـول الخنسـاء فـي معـرض رثـاء أخيهـا صخـر وتأمّلهـا لقصص الماضين[٢٠٤]:

جليـدٍ حـازمٍ قِدْمـاً أتـاه صروف الدهـر بعـد بني ثمـود
وعـاداً قـد علاهـا الدهـر قسـراً وحِمْيَرَ والجنـود مـع الجنـود

وفي موضع آخر تُحمل القول فـي رثـاء الأفـراد والممـالك والأمـم وصلـة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدهر بكل ذلك، تقول[٢٠٥]:

لا شيء يبقى غير وجـه مليكنـا ولست أرى شيئاً على الدهر خالدا

كأنها أفادت من الآيتين الكريمتين: ﴿كُلُّ منْ عَلَيْها فَانٍ ويَبْقَى وَجْـهُ رَبِّـكَ ذو الجلال والإكرام﴾[٢٠٦].

وقريب من ذلك قول طرفة بن العبد[٢٠٧]:

أرى العيش كـنزاً ناقصـاً كـلَّ ليلـة وما تنقُـصِ الأيـام والدهـر يَنفـدِ

لعمرك إن الموت مـا أخطـأ الفتـى لكـالطِوَل المُرْخَـى وثنيـاه بـاليدِ

ومن درر ما قيل في هذا السياق قول الأحوص الأنصاري[٢٠٨]:

من يَأمَنُ الدهر أو يرجو الخلود بـه بعد الذين مضوا فـي سـالف الأمـم

ليس امرؤٌ كان في عيـش يُسَـرُّ بـه يومـاً بـأخلدَ مـن عـادٍ ومـن إرَمِ

لابـدّ أن المنايـا سـوف تدركـه ومـن يُعمَّـر فلـن ينجـو مـن الهـرم

أيـن ابـن حـرب وقـوم لا أُحِسُّـهمُ كانوا قريباً علينـا مـن بنـي الحَكَـمِ

بـادوا وآثـارهم فـي الأرض باقيـة تلكُمْ معـالمهم فـي النـاس لـم تَـرِم

(وابن حرب: أبو سفيان، من بني أمية، وكذلك الحكم بـن أبـي العـاص.. يعني الماضين). وهذا الشعور الدفين بالخوف يستبد بمن لديهـم حساسية مرهفة، ويظل هاجسهم الداخلي على مرّ العصور.. من الخنساء وطرفة بن العبد إلى نازك الملائكة التي «ترى في الزمن قوة جبارة مطـاردة والإنسـان يحـاول أن يهـرب منهـا، ولكنـه لا يملـك أن ينجـو، أو لا يكـاد يملـك ذلك[٢٠٩]».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد، فهل استطاعت الشواهد والنصوص، بدلالاتها المركزية والهامشية وبإيحاءاتها، أن تجلو مفهوم الدهر، أو تخفف من غموضه؟! وهل كان الدهر زمناً ذا حضور داخلي، أو كان قوة خارجية تتشرّب التجربة الإنسانية وتعيد قصها حتى تغتني تجلياتها بإضافات ترفدها بها مسيرة العقل، وسبحات الخيال، وتطور المفهومات الاجتماعية؟!

قد يكون الدهر في نظر المتحضّرين أو الفلاسفة أو العلماء مرتبطاً بالتاريخ وبحركته المتعاقبة وبالتغيير، أما في نظر الكتاب المبدعين العرب فالدهر زمن وكينونة، وأنصع ما يتجلّى في النصوص التراثية أنه حيٌّ، أو أن النصوص والصور الشعرية تخلع عليه صفة «الإحيائية»، فيبدو كالإنسان، أو كالحيوان الضاري المفترس، له أنياب وأظفار، يعض وينهش ويبطش، يطعن بالرمح ويبتر بالسيف، وحين يوقع بالإنسان يصير كالهاوية، أو كالمصيدة فيها الأحبولة والتهلكة، وحين يغدر بالبشر يتجسّم خصماً يخلو بهم ساخراً مخادعاً، أو يدير ظهره لهم فيتراءى خؤوناً لا يُؤْتمن. وحين يُدبر مبتعداً يخلّف ظلال مباهج ولّت، أو شمساً أَفَلَت فساد الظلام وعمّت البرودة.

ولكن الصور التي ترسم الدهر مستعينة بالجوارح والأبعاد والأفعال والألوان، أو مستعينة بالمظاهر الحسية، قد تتعرّى من كل هذا وتعمد إلى التجريد والذهنية، وعندئذٍ يلوح الدهر حالة عصية على الإدراك والتصور، أو يصبح تصوُّره مقصوراً على أصحاب النصوص، وعلى مفرزات معاناتهم الشخصية وإيقاع حياتهم الداخلية الخاصة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحواشي والإحالات:

١- انظر: تهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، والمخصص لابن سيده، ولسان العرب لابن منظور: مادة (دهر).

٢- اللسان: دهر، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/٢٧٤ تحقيق لطفي عبد البديع – ط. القاهرة (١٩٦٣).

٣- تهذيب اللغة: دهر، وكشّاف التهانوي ٢/٢٧٤، واللسان: دهر، زمن.

٤- اللسان: دهر، زمن، حرس، سبت، حين.

٥- المصون في الأدب ١٠٣ للحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٨٢هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط٢. القاهرة ١٩٨٢.

٦- المفضليات ٩٣ للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون. ط٥. دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

٧- المختار من «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» للراغب الأصفهاني ص ٥١٨ سفر٣. (اختار النصوص وعلق عليها محمد أحمد درويش) منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٠.

٨- المفضليات ٢٠٤.

٩- الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٤٦١، تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر ١٩٦٦.

١٠- ديوان جميل بن معمر العذري ٦٦ جمع وتحقيق د. حسين نصار. مكتبة مصر، ١٩٦٧ ط٢.

١١- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٢٣٣.

١٢- ديوانه ١٢٦- ١٢٨.

١٣- الديوان نفسه ١٣١.

١٤- المصون في الأدب ١٨١.

١٥- نفسه ص ٢٠٠.

١٦- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/٢٤.

١٧- الأصمعيات ١٧٣ للأصمعي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. ط٤. دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

١٨- المصون في الأدب ٢٠٠.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩- شرح ديوان المتنبي ج٢/٣. وضعه عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٩٨٦.

٢٠- ديوانه ١٠٥.

٢١- الأصمعيات ٦٣.

٢٢- المفضليات ٢٤٨.

٢٣- ديوانه ١٠٤.

٢٤- شرح الخطيب التبريزي على ديوان أشعار الحماسة لأبي تمام. ج٢/ ١٦٠ طبعة القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م (في أربعة أجزاء).

٢٥- اللسان: سكن.

٢٦- المختار من محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني٣/٣٩٩.

٢٧- المصون في الأدب ١٤٠.

٢٨- اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي ص ٢٣. دار المناهل. لبنان ١٩٩٢.

٢٩- اللمع في العربية ص ٤٩ تحقيق سميح أبو مغلي. دار مجدلاوي. عمان - الأردن ١٩٨٨.

٣٠- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ٢٥٥.

٣١- نفسه ٤/ ١٣٠.

٣٢- سيبويه، الكتاب ١/ ١٣٦-١٣٧، طبعة بولاق، وانظر الصفحات ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٨، ٤١٨، ٤١٩ من ط. عبد السلام هارون ١٩٦٦.

٣٣- انظر: المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ١٢٩.

٣٤- نفسه ٤/ ١٣٠.

٣٥- معجم «مقاييس اللغة»: دهر. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط٢. مصر ١٩٦٩.

٣٦- انظر نشرة «أوراق مجمعية» ص٥. يصدرها المجمع العلمي العراقي. العدد (٧)، السنة الأولى. تشرين الأول ١٩٩٨.

٣٧- تهذيب اللغة، واللسان: نزل، دهر.

٣٨- انظر: نهاية الأرب للنويري ٣/٧٣. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. طبعة القاهرة ١٩٧٦. وموسوعة أمثال العرب ٦/٦١، إعداد: د. أميل بديع يعقوب. دار الجليل - بيروت ١٩٩٥.

٣٩- مجاني الأدب في حدائق العرب ٤/٧٣ للأب لويس شيخو. دار المشرق. بيروت ١٩٩٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤٠– اللسان: دهر.
٤١– اللسان: جذع.
٤٢– اللسان: بيض.
٤٣– التهذيب واللسان: منن.
٤٤– سورة الطور: ٣٠. واللسان: دهر.
٤٥– اللسان: عجب. والمختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ١٢٢١، ٤/ ٤٥٠.
٤٦– الأصمعيات ١١٨.
٤٧– الأصمعيات ٢٤٠.
٤٨– اللسان: عهد.
٤٩– اللسان: سند. وكتاب «التيجان في ملوك حمير» ص٣٧٨. تحقيق مركز الدراسات والبحوث اليمنية. صنعاء ١٩٧٩ ط ثانية.
٥٠– الخصائص لابن جني ١/ ٢٦٥. تحقيق محمد علي النجار. دار الهدى للطباعة والنشر. بيروت ط٢.
٥١– سورة الجاثية: ٤٤.
٥٢– انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ١٧٠– ١٧١ط مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية. دار الكتاب العربي – القاهرة ١٩٦٧. وانظر أيسر التفاسير ٢/ ١٥٠٢ تأليف الدكتور أسعد حومد، مع ترجمة إلى الفرنسية. ط١، دمشق ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. وصفوة التفاسير ٣/ ١٨٧ تأليف محمد علي الصابوني. الطبعة الرابعة. دار القرآن الكريم– بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م. والتفسير الكبير ٢٧/ ٢٧٥ لفخر الدين الرازي. المطبعة البهية بمصر.
٥٣– التفسير الكبير ٢٧/ ٢٧٥.
٥٤– أخرجه البخاري ومسلم.
٥٥– انظر: أسرار البلاغة ٣٨٩. قرأه وشرحه محمود محمد شاكر. ط١، القاهرة ١٩٩١. واللسان: صمم، جذع.
٥٦– اللسان: دهر. وانظر: أمالي الشريف المرتضى المسماة «غرر الفوائد ودرر القلائد» ص٤٥– ٤٦ ج١. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت ١٩٦٧.
٥٧– لؤي علي خليل: مدخل إلى معاني الدهر. ص ١٤٤ من مجلة– المعرفة –

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دمشق ١٩٩٨.

٥٨- انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٧١.

٥٩- ترجمة إلياس بديوي، في قسمين. منشورات وزارة الثقافة. دمشق ٧٧-١٩٧٨.

٦٠- التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) ص ١١١، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٨.

٦١- نفسه ١٢٣.

٦٢- التعريفات ١٧.

٦٣- اللسان: ألا.

٦٤- مقامات الحريري ص ٢١، ط: بيروت ١٩٨٠.

٦٥- مجاني الأدب ٤/ ١٨٧.

٦٦- انظر: المصون في الأدب ص ٦٨ - ٦٩، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ص ٢٩٣. تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ط٣ - البابي الحلبي وشركاه. ونسب البيت في الأغاني إلى أعشى بني تغلب..

٦٧- انظر: المصون في الأدب ص ٦٧، وحاشيتي المحقق (٢) و(٣).

٦٨- انظر الشعر والشعر لابن قتيبة ١/٣٧٧.

٦٩- ديوان قيس بن الخطيم ص ٩٩ تحقيق د. ناصر الدين الأسد. دار العروبة - القاهرة ١٩٦٢.

٧٠- المفضليات ٣٠٠.

٧١- الوساطة ص ٣٧.

٧٢- الوساطة ص ٣١٦.

٧٣- اللسان: خلف.

٧٤- اللسان: ملل، حول.

٧٥- ديوانه ١٨٩. جمعه وحققه د. عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٥.

٧٦- انظر: مجاني الأدب ٤/٢٠٢.

٧٧- ديوانه ٢٢ وروايته فيه :

هم كاهل الدهر الذي نتقي به ومَنْكِبُهُ المرجوّ أكرم منْكِبِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد جمع الديوان وقدم له وعلق عليه ناصر العاني. وراجعه وجمع شواهده عز الدين التنوخي. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٤. وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج٤/٢٧٢، ط٢. بيروت ١٩٩٥.

٧٨- مجاني الأدب ٤/٣٠.

٧٩- ديوانه ٤٢، شرح وتقديم عباس عبد الساتر. دار الكتب العلمية ط٣ – بيروت ١٩٩٣.

٨٠- اللسان: يدي.

٨١- ديوانه: ٥٢.

٨٢- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/٥٦.

٨٣- المفضليات ٨٢.

٨٤- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي ص ٢٥٩. تحقيق محمد المصري. وزارة الثقافة – دمشق ١٩٧٢.

٨٥- مجاني الأدب ٤/٣٢.

٨٦- نفسه ٤/٤٧.

٨٧- ديوانه ٨١. دار صادر. بيروت (دت).

٨٨- نفسه ٨٤.

٨٩- ديوانه ٥٣.

٩٠- ديوان جميل ١٦٢.

٩١- مقامات الحريري ص ٢١. دار صادر. بيروت ١٩٨٠.

٩٢- الكامل للمبرد ١/١١٠ نشر مكتبة المعارف – بيروت (ب.ت).

٩٣- الشعراء السود ص ٢٠١ تأليف الدكتور عبده بدوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣.

٩٤- ديوانه ٩٧.

٩٥- نفسه ٢١١.

٩٦- ديوان ديك الجن لأنطوان الفوال ص ٩٠. دار الكتاب العربي ١٩٩٢ ط١.

٩٧- مجاني الأدب ٤/٥٨.

٩٨- نفسه ٤/٤٣.

٩٩- أساس البلاغة للزمخشري: مرر. تحقيق عبد الرحيم محمود. دار المعرفة، بيروت – لبنان ١٩٧٩.

١٠٠- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٢١٦.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠١- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي الأندلسي ص ٧٢. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر ١٩٧٣.

١٠٢- مجاني الأدب ٣/ ٣١.

١٠٣- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٤٥٦.

١٠٤- ديوانه ١٧٥.

١٠٥- نفسه ٥٢.

١٠٦- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ١٢٤.

١٠٧- ديوان المتنبي ج٩/١ بشرح أبي البقاء العكبري. ضبطه وصححه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي. دار المعرفة - بيروت (ب.ت).

١٠٨- خاص الخاص للثعالبي ص ١٢٢. مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٦.

١٠٩- أمالي الشريف المرتضى ١/٤٥- ٤٦.

١١٠- ديوانه ٢٣٣.

١١١- انظر: عصر الدول والإمارات للدكتور شوقي ضيف ص ٣٥٣. دار المعارف بمصر ١٩٨٠.

١١٢- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ج٢/ ١٤ (م.س).

١١٣- انظر فوات الوفيات للكتبي ج٣٣٢/٤. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر، بيروت - لبنان ١٩٧٤.

١١٤- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٢٩٨/٣.

١١٥- ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٤٥١، تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي. دمشق ١٩٧٤.

١١٦- شرح ديوان الحماسة ١٠١/١.

١١٧- المفضليات ٢٤٩.

١١٨- كتاب الآمل والمأمول المنسوب إلى الجاحظ، ص ٥٥. تحقيق رمضان شِشِين. دار الكتاب الجديد ١٩٨٣ ط٢.

١١٩- ديوانه ١٨٦.

١٢٠- الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٧٨/١.

١٢١- انظر: العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ١٥٤. دار المعارف بمصر، ط١.

١٢٢- اللسان: ضعف.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢٣- ديوانه ١٢٨.
١٢٤- ديوانه ٤٦.
١٢٥- ديوانه ٣٧٠.
١٢٦- ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: المجلد الأول ص ٧٣، تحقيق محمد عبده عزّام. (ذخائر العرب)، مكتبة العازرية ١٩٦٨ ط٤. وطبعة الديوان الكامل بشرح شاهين عطية، ومراجعة الأب بولس الموصلي.
١٢٧- ديوانه ج١/ ١٧٤.
١٢٨- ديوان أبي فراس ص ١١٧.
١٢٩- الكامل للمبرد ١/ ٢٩٤.
١٣٠- انظر: نثير الجمان لابن الأحمر ص ٣٧٣، تحقيق محمد رضوان الداية. بيروت ١٩٧٦.
١٣١- خاص الخاص للثعالبي ٢٠٠.
١٣٢- مجاني الأدب ١٥٨/٣.
١٣٣- ديوانها ٨٤.
١٣٤- خاص الخاص ٢٣٩.
١٣٥- المفضليات ٢٦٩.
١٣٦- خاص الخاص ٢٤٥.
١٣٧- المفضليات، الصفحات: ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٧.
١٣٨- ديوانه ١٨٢، واللسان: ثني.
١٣٩- زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ) ج٣/٧٠٢ بعناية الدكتور زكي مبارك. دار الجيل. بيروت – لبنان ١٩٧٢ ط٤.
١٤٠- مجاني الأدب ٤٦/٤- ٤٧.
١٤١- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٦٩/٤.
١٤٢- اللسان: حول.
١٤٣- الكامل للمبرد ٢١٧/٢.
١٤٤- الأصمعيات ١٨٤.
١٤٥- مجاني الأدب ١٢/٥.
١٤٦- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص ١٣٣. دار المسيرة – بيروت ط ١٩٧٨.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٤٧- الأصمعيات ٢٢٩.
١٤٨- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي الأندلسي ص ١٧٤.
١٤٩- ديوان أبي تمام ٤٢٤/٢.
١٥٠- ديوانها ٤٧، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤٧/١.
١٥١- اللسان: طرق.
١٥٢- الكامل للمبرد ٣٢١/١، والمصون في الأدب ٢٠٢.
١٥٣- ديوانه ٦٧.
١٥٤- اللسان: غير.
١٥٥- المصون في الأدب ١٦٥.
١٥٦- مقامات الهمذاني ١٩٣.
١٥٧- مجاني الأدب ٣١/٣.
١٥٨- اللسان: نصف. وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج٣/ ١٠٩. عالم الكتب، بيروت (ب.ت).
١٥٩- المصون في الأدب ١٤٧.
١٦٠- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤١٤/٣.
١٦١- ديوانه ٥٢.
١٦٢- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ج٢/ ٢٣٨.
١٦٣- الموضع السابق ج٢/ ٢٤٧.
١٦٤- نفسه ج٢/ ٢٤٩.
١٦٥- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٣/ ٢١٣.
١٦٦- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ١٣٣.
١٦٧- المختار من محاضرات الراغب ١٨١/٢.
١٦٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام القسم الأول -المجلد الأول ص ١٧٢ تحقيق د. إحسان عباس. ط. الدار العربية للتاب - ليبيا - تونس ١٩٧٨.
١٦٩- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر برواية ابن منظور ج٩/ ١٨٠، تحقيق نسيب نشاوي. دار الفكر. دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م، ط١.
١٧٠- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي ١٩٨.
١٧١- مجالس العلماء للزجاجي ص ٣١١. تحقيق عبد السلام محمد هارون - الكويت ١٩٦٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٧٢- ديوان المتنبي ج١/٣١٦. المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/٥٨.
١٧٣- ديوانه ٢٠.
١٧٤- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ٢٥٥.
١٧٥- خاص الخاص ٢٤٣- ٢٤٤. وفي اللطائف والظرائف للثعالبي نفسه (ص٢٥) «كأنني إصبع».
١٧٦- خاص الخاص ٢٠٤.
١٧٧- نفسه ٢١٦.
١٧٨- ديوانه ج٢/ ١٤١.
١٧٩- خاص الخاص ١٩٣.
١٨٠- اللطائف والظرائف ٢٢.
١٨١- اللطائف والظرائف ٢٣.
١٨٢- نفسه ٢٣- ٢٤.
١٨٣- نفسه ٢٤.
١٨٤- ؟
١٨٥- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٤/ ٥٥.
١٨٦- نفسه، والصفحة نفسها.
١٨٧- شعر الأحوص الأنصاري ص ٢٠٠، جمعه وحققه عادل سليمان جمال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٠.
١٨٨- حماسة البحتري تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١٠م، أو ١٩٦٧. شعر الأحوص؟!.
١٨٩- كتاب الآمل والمأمول المنسوب إلى الجاحظ ص ١٥.
١٩٠- نفسه ٥٧.
١٩١- السابق نفسه ١٥.
١٩٢- ديوان دريد بن الصمة الجشمي ص ٦٤- ٦٥ جمع وتحقيق محمد خير البقاعي. دار قتيبة. دمشق ١٩٨١.
١٩٣- المختار من محاضرات الراغب الأصفهاني ٢/ ٤١٨.
١٩٤- ديوانها ١٢٧.
١٩٥- نفسه ١٤٤.
١٩٦- ديوان الخنساء ٤٧.
١٩٧- نفسه ٧٠.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩٨- الأصمعيات ١٠٤.

١٩٩- الشعراء السود ١٧٨.

٢٠٠- مجاني الأدب ٤/٣٦.

٢٠١- انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقّري التلمساني، مجلد ٤ ص ٤٨٧- ٤٨٨.

٢٠٢- ديوان أبي الفتح البستي ص ١٨٧- ١٨٨ تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٠٣- خاص الخاص ٢١١.

٢٠٤- ديوانها ٣٩.

٢٠٥- نفسه ٣٢.

٢٠٦- سورة الرحمن: ٢٦- ٢٧.

٢٠٧- انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/١٨٧.

٢٠٨- شعر الأحوص الأنصاري ٢٠٠.

٢٠٩- انظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر ص ٩٣. عالم المعرفة. الكويت ١٩٧٨.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net